داية الكتابة في السنة منذ عهد الرسول

مبحث فى دراسات فى علوم السنة

**إعداد / محمد كمال الإمام زميتر**

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

mohamed.zemater@mediu.ws

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى داية الكتابة فى السنة منذ عهد الرسول
الكلمات المفتاحية – ظاهرة ، الحديث ، الصحابة**

**المقدمة.I**

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة داية الكتابة فى السنة منذ عهد الرسول**

 **.عنوان المقال II**

**هناك ظاهرة هامّة بدأت منذ عهد رسول الله وهذه ظاهرة لا يلتفت إليها كثيرون -كما سنبين- وهي أنّ الحديث من عناية الصحابة -رضوان الله عليهم- ابتدأ في كتابته في عهد الرسول ثم في عهد الصحابة، حتى جاء نهاية القرن الأول، وفي عهد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله ورضوان الله عليه-حين أمر بتدوين السنة.**

**وسنقف قليلًا عند هذه الظاهرة؛ لأنها تمثّل ركيزة في توثيق السنة، وأساسًا لما جاء بعد ذلك من القواعد التي تصون سنة رسول الله وتصون حديثه.**

**وهناك لبس فُهِمَ من التأريخ لتدوين السنة المشرفة، وأدّى هذا اللبس إلى أنّ السنة لم تكتب إلا في نهاية القرن الأول، وبداية القرن الثاني الهجريين، وبالتحديد: ابتداء من عهد عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى، حين أمر بتدوين السنة، وممن دوّنها في هذا العهد بأمرٍ من عمر بن عبد العزيز، محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، الذي توفي سنة مائة وأربع وعشرين، والذي قال: "لم يدوّن هذا العلم أحد قبل تدويني"، وقال ابن حجر: "أوّل من دون الحديث ابن شهاب الزهري، على رأس المائة بأمر عمر بن عبد العزيز >".**

**ويقول السيوطي: "وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقَع على رأس المائة، في خلافة عمر بن عبد العزيز"، وفي "الحلية" عن مالك قال: "أوّل من دون العلم ابن شهاب"، فهم من هذا وغيره أن كتابة السنة لم تكن إلّا في عهد عمر بن عبد العزيز وبعده، وأنه كان يُعتمد في حفظها قبل ذلك على الصدور، ويطنطن الكثيرون في مميزات الذاكرة العربية التي تستوعب في صدورها هذا الكم الهائل من الأحاديث؛ تبريرًا لكَوْن السنّة لم تكتب إلّا في عهد عمر بن عبد العزيز، ولكن لبيان أنها حفظت حفظًا جيدًا في الصدور.**

**تلقّف ذلك المستشرقون، فجعلوا ذلك دليلًا على أن السنة كانت عرضة للنسيان والتغيير، ولا يفيدها أنها دوّنت بعد تسعين عامًا أو أكثر، وبطبيعة الحال يعتري الرَّاوون في هذه الفترة النسيان والتغيير والتبديل عندما يؤدون ما عندهم من أحاديث.**

**وكان هذا الاتهام في عصرنا كذلك، وخاصة عند الذين يكيدون للسنة، أو يهاجمون الأحاديث، ويدَّعون أن السنة لم تثبت، وأنها إذا كانت دوّنت في نهاية القرن الأول، فمعنى ذلك أنها كانت على مدى ما بين حياة الرسول إلى ذلك الحين، كانت عرضة كما قلنا: للتغيير والتبديل والتحريف، وعدم أدائها أداء جيدًا.**

**أمّا المصنفون القدماء فكانوا على يقين أن السنة حفظت، سواء كانت في الصدور أو في الصحف والكتب، بل كانوا على يقين من أنّه كانت هناك كتابات، وكثيرة في هذه السنين قبل عهد عمر بن عبد العزيز، كما سيتبين في كلامنا هذا، وكانوا يعنون بتدوين السنة جمعها في دواوين، وليس ابتداء كتابتها، كما يدل على ذلك لفظ التدوين، فمعناه: هو تجمع الصحف في ديوان.**

**يقول ابن منظور في "اللسان": "الديوان مجتمع الصحف"، فعلى ضوء هذا نفهم أن السنة كانت قبل نهاية القرن الأول في صُحُف، ثم ابتدئَ في تجميعها -أي: في تدوينها- في عهد عمر بن عبد العزيز، وهذا ما فعله ابن شهاب الزهري، وحق له أن يقول: "لم يدوّن هذا العلم أحد قبل تدويني" أيك ما جمعه أحد قبلي كما سبق.**

**ولا شك أن استعمال الكتابة بمعنى التدوين في الأعصر المتأخرة، واستعمال التدوين بمعنى الكتابة، أسهم في هذا اللبس وهذا الخلط، وكان ذلك مادة خصبة للمستشرقين ومن لفّ لفهم وصار على تلبيسهم للطعن في السنة والوثوق بها.**

**ومما يدلُّ على التفرقة بين الكتابة والتدوين قول ابن حجر: "إن آثار النبي لم تكن في عصر أصحابه، وكبار من تبعهم، مدونة في الجوامع، ولا مرتبة" فتأمّل في قوله: "مدونة في الجوامع" أي: في كتب جامعة، وفي قوله: "ولا مرتبة" أي: ليست مرتبة كما كانت في المصنفات المرتبة بعد هذه الفترة، ولا يعني ذلك أنّ الحديث لم يُكتب في صحف في القرن الأول الهجري ابتداءً من عصر رسول الله بل قوله: "ولا مرتبة" فيه دليل على أنها كانت في صحف، لكنها غير مرتبة، لا ترتيبًا إسناديًّا ولا ترتيبًا موضوعيًّا، كما سنرى ذلك في بعض الكتابات التي كانت في عهد رسول الله أو في عهد الصحابة -رضوان الله عليهم.**

**ومما يزيد الأمر وضوحًا أنّ ابن حجر قال بعد هذا: "ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار وتبويب الأخبار، فأوّل من جمع ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما، وكانوا يصنّفون كل باب على حدة" هذا الكلام واضح جدًّا في أنّ الأمر إنما كان هو التصنيف وليس ابتداء الكتابة، قال: "وكانوا يصنّفون كل باب على حدة، إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدوّنوا الأحكام" أي: بعد ذلك. ذكر ذلك ابن حجر في أوائل (هدي الساري مقدمة فتح الباري).**

**فهذا النص في غاية من الأهمية في مسألة الكتابة والتدوين والتصنيف، فبالإضافة إلى قوله: "مدونة في الجوامع" أي: جمعت ما كان موجودًا، وقوله: "وتبويب الأخبار" يعني أن هذه المرحلة لم تكن مرحلة الإنشاء وإنما كانت مرحلة التبويب، بالإضافة إلى ذلك نجد أن قوله: "فأول من جمع ذلك" يفيد أنّ الجمع يعني أكثر من عمل التسجيل، وكأنّ هناك أو الأمر كذلك هناك كتابات جُمعت في هذا العصر، وكذلك قوله: "وكانوا يصنفون كل باب على حدة، إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدوّنوا الأحكام، فصنف الإمام مالك ...:" إلى آخر كلامه. فإذًا كانت هذه المرحلة مرحلة ترتيب وتصنيف وجمع كل باب على حدة، وهذا غير الكتابة في القرن الأول التي سنجدها واقعًا عمليًّا -إن شاء الله عز وجل.**

**وهذا على الرغم من أنّ كلمة التدوين تستعمل بمعنى الكتابة الآن، ولكن هذا لا يحجب عنا الحقيقة، وهي أنهما كانا يستعملان بمعنيين مختلفين؛ الكتابة هي التسجيل، أمّا التدوين فهو الجمع.**

**المراجع والمصادر**

1. **محمد بن محمد أبو شهبه ، (الوسيط في علوم ومصطلح الحديث) ، طبعة عالم المعرفة، جدة 1983م.**
2. **عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح ، (مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح) ، تحقيق: عائشة عبد الرحمن، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م.**
3. **نخبة من الباحثين ، (موسوعة علوم الحديث الشريف) ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر 2003م.**
4. **الجزائري، طاهر بن صالح الجزائري ، (توجيه النظر إلى أصول الأثر) ، عناية: عبد الفتاح أبو غدة، دار المعرفة، بيروت 1972م.**
5. **الصالح، صبحي الصالح ، (علوم الحديث ومصطلحه) ، دار العلم للملايين 1969م..**
6. **النهانوي، ظفر أحمد النهانوي ، (قواعد في علوم الحديث) ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية 1984م.**
7. **رفعت فوزي عبد المطلب ، (توثيق السنة في القرن الثاني الهجري أسسه واتجاهاته) ، مكتبة الخانجي – القاهرة 1981م.**
8. **الطحان، محمود الطحان ، (أصول التخريج و دراسة الأسانيد) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض 1996م.**
9. **البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، (الرحلة في طلب الحديث) ، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية – بيروت 1975م.**
10. **الخطيب، محمد عجاج الخطيب ، (السنة قبل التدوين) ، دار الفكر 1971م.**
11. **رفعت فوزي عبد المطلب ، (المدخل إلى منهاج المحدثين) دار السلام – القاهرة 2001م.**
12. **رفعت فوزي عبد المطلب ، ( ابن أبي حاتم الرازي وأثره في علوم الحديث) ، مكتبة الخانجي - القاهرة 1994م.**
13. **الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، (توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار) ، دار إحياء التراث العربي 1945م.**